صَدَقَ وَعْدَهُ،
وَنَصَرَ عَبْدَهُ،
وَأَعَزَّ جُنْدَهُ،
وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَخَدَهُ،
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ،
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ،
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى أَصْحَابِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى أَنْصَارِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى أَتْبَاعِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى أَزْوَاجِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى ذُرِّيَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

فضل الله كبير على الحجاج أيضا علينا

أيها المؤمنون: اعلّموا أن فضل الله تعالى على الجميع كبير، وعظيم ومقدر بحكمته البالغة. فإذا كان للحجاج التلبية، فلنا التكبير

وإذا كان للحجاج الوقوف بعرفة، فلنا صيام عرفة

وإذا كان عليهم ذبح الهدى، فعلينا ذبح الأضحية

فسبحان مقسم الأرزاق، سبحان من يبعث في النفس السكينة والطمأنينة ويُشعرنا دوما بفضله وكرمه وجوده وعدله ورحمته وحكمته في توزيع الأجور والعبادات... (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

(الجمعة: ٤).

المحور الأول: عزنا وعزتنا، ومجدنا وقوتنا، لن تكون إلا بالله.

يقول الله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۗ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۗ...)
(فاطر: ١٠). إلى الله يصعد الكلم الطيب من: التسييح، والتحميد، والتجميد، والتهليل، والتوحيد، والاستغفار، والابتهاج، والتضرع، والتوكيل، والتفويض، والخشوع، والدعاء، والرجاء...
والعمل الصالح يرفعه فينتقل في الملأ الأعلى.

وقال تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۗ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ۗ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (آل عمران: ٢٦-٢٧).

حكى أنه عندما دخل سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) القدس في عام ١٥ هـ/ ٦٣٦ م لتسلم مفاتيح بيت المقدس - حررها الله من أيدي المعتدين - بعد أن طلب صفرونيوس (بطريك القدس) تسليم المفاتيح إليه شخصياً. اعترضته مخاضة من الطين - مكان فيه طين أو ماء - فنزل الفاروق عمر من على البعير رحمة به، ونزع نعليه ووضعها على كتفه، وخاض المخاضة بقدميه ومعه خادمه، والصحابة الكرام يريدون أن يكون هندامه جميل وكريم أثناء دخوله لتسلم المفاتيح.

فقال بعضهم: "أغوص في الطين بقدميك يا أمير المؤمنين!!".

فنظر إليهم متعجباً!

وقال كلمته الخالدة: "نعم أغوص.. لقد كنا أذلاء... فأعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله"

(١)

أيها المسلمون:

تعلموا العزة من الله، ومن رسوله، ومن صحابته الأخيار الأطهار.

- فكرمتنا لا تكون إلا بالله،
- وقوتنا لن تكون إلا بالله،
- وعزتنا وعزتنا لن تكون إلا بأمر الله،
- ومجدنا لن يتحقق إلا بالوصال مع الله،
- ورفعتنا لن تكتمل إلا بطاعة الله،
- ونجاتنا لن تكون إلا في ظل شرع الله،
- ونجاحنا لا يكون إلا باتباع منهج الله،
- وسداد أمرنا لا يتم إلا بهدى الله،
- وتحرير قدسنا لن يكون إلا بنصر الله،
- وصلاح أحوالنا لن يرجى إلا بتقوى الله،
- ووحدة صفنا لن تُبنى إلا على كتاب الله،
- وبقاء حضارتنا مرهونٌ برضا الله.

المحور الثاني: الأعياد وتنويع الأيام من عظيم رحمات الله بالإنسان

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، والله الحمد.

أيها السادة:

جاء بنا إلى الدنيا؛ لكي:

- يكمل بعضنا بعضاً،

(١) دخول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى بيت المقدس لتسلم مفاتيح المدينة بعد فتحها، وهي من الروايات المشهورة والمتداولة في كتب التاريخ والسير، منها: تاريخ الطبري، الفتوح لابن أعمش، الكامل في التاريخ لابن الأثير، البداية والنهاية لابن كثير. وهذه الرواية ليست من أحاديث النبي (ﷺ)، لذا لا تدخل في معيار "الصحة الحديثية" بالمعنى الدقيق. لكنها تُعد من الآثار التاريخية المشهورة التي لها أصل عام يؤيدها في السيرة والمواقف الموثقة لعمر بن الخطاب في الزهد والتواضع.

- ويساعد بعضنا بعضاً،
- ويُسعد بعضنا بعضاً،
- ويحترم بعضنا بعضاً،
- ويحافظ بعضنا على بعض،
- ويجبر خاطر بعضنا بعضاً

خلقنا الله (عز وجل)؛ لتكامل جميعاً من أجل إعمار الكون، وإسعاد الإنسان والمخلوقات والحياة بمنهج الله.

خلقنا لكي نتكامل في بناء الإنسان وإعمار الكون والحياة.. بأفكارنا جميعاً.. وبإبداعنا جميعاً.. وبعطائنا جميعاً.. فكلنا شركاء في المسؤولية، وفي بناء الإنسان والأوطان، وفي إعمار الكون والحياة وإسعادها..

وحدد الغاية من وجودنا في هذه الحياة، وتمثل في:

- ١- عبادة الرحمن وهي الغاية الكبرى
- ٢- عمارة الأكوان
- ٣- رعاية الإنسان

ومن عظيم رحمات الله بالإنسان أنه لم يجعل الأيام تسير على وتيرة واحدة، أو على نحو رتيب يبعث الملل والرتابة في النفوس والعقول والقلوب، والحياة؛ بل إنه (جلّ وعلا):

- نوّعها
 - وصنّفها
 - ومهّدها
 - وعبّدها للحياة (للعبادات والمعاملات)
 - وجعل فيها مواسم للعبادات والطاعات والأعياد؛ لتسعد القلوب والنفوس والأجساد والحياة بمنهج الله.
- أوشكت الأيام المعلومات هي العشر الأوائل من ذي الحجة أن تمر، قال تعالى: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَاسِسَ الْفَقِيرَ) (الحج: ٢٧-٢٨)، وهي أيام ذكر وشكر وعبادة، وفيها أيام الحج، وتجتمع فيها أمهات العبادات، وتأتي أيام الأكل والشرب والذكر والشكر... إنها حقاً أفضل أيام الدنيا.. نحن الآن في أحب الأيام إلى الله تعالى فعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر). قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟**

قال (ﷺ): (ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء) (٢).

وهي أيام خيرات وبركات ونفحات وإجابة الدعوات

يُضاعف فيها الأجر والثواب، وتُفتح فيها أبواب الرحمة والمغفرة. قال رسول الله (ﷺ): (إنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ في أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) (٣).

ونحن الآن في أعظم الأيام: يوم النحر

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له، وأخرجه البخاري باختلاف يسير

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط.

وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم عيد الأضحى، قال النبي (ﷺ): (إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ. وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّانِي) (٤). وعن عبد الله بن قُرَظٍ (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ): (أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ) (٥) ..

وهكذا فإن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النَّحْرِ، وهو عاشر ذي الحجة، ثم يوم الْقَرِّ، وهو ثاني يوم النَّحْرِ، وسمي بذلك؛ لأن الحجيج يقرون فيه بمنى بعدما أدوا أعمالهم، وليس لهم أن يغادروا منى في هذا اليوم. **ويلى يوم النحر أيام عظيمة وهي أيام التشريق الثلاثة (الأيام المعدودات)**، وهي المقصودة في قول الله تعالى: (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَى ۗ وَآتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (البقرة: ٢٠٣)، وهي الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من ذي الحجة.

وسميت بأيام التشريق؛ لأن الحجاج كان يشرقون فيها لحوم الأضاحي أي يقطعونها قطعاً صغيرة ويعرضونها للشمس؛ أي يقددونها، لكي تجف وحتى لا تفسد.

ومن فضائل أيام التشريق أن النبي (ﷺ) قال: (أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكُلُ وَشُرِبَ) وفي رواية: زاد فيه (وذكر لله) (٦)، فلا يجوز صومها إلا لمن لم يجد الهدى في الحج.

وفيهما يجتمع للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر، فهي أيام أكل وشرب والإسلام إذا يريد مسلماً تجري في عروقه دماء الصحة، والقوة، والسلامة، والعافية، والأخلاق، والإتقان، والإحسان.

فعن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ. اٰخِرُصَّ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) (٧).

فالأمة بحاجة إلى المؤمن القوي:

- ✓ القوي في صلته بالله،
- ✓ القوي في عقيدته،
- ✓ القوي في عدته،
- ✓ القوي في أخلاقه،
- ✓ القوي في علمه وعمله وإتقانه وإحسانه وإبداعه،
- ✓ القوي في مهاراته وخبراته وجداراته،
- ✓ القوي في احترام لمخلوقات الله،
- ✓ القوي في الحفاظ على وطنه ومقدراته،
- ✓ القوي في جميع مناحي الحياة..

(٤) أخرجه الإمام أبو داود بإسناد جيد.

(٥) أخرجه أبو داود وأحمد مطولاً، السيوطي في الجامع الصغير - صحيح.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

أيها المؤمنون إنما أيام ذكر وشكر وأكل وشرب وتوسعة، فوسعوا على أولادكم، وأكرموا من حولكم..
واعلموا أن من استعان بنعم الله تعالى على طاعة الله، وعلى تقوى الله، ورضا الله، ومرضاة الله؛ فقد فاز وحاز رضا الله في الدنيا والآخرة، أما من استعان بنعم الله على معصية الله وعلى إيذاء خلق الله فقد باء بالخسران المبين..
اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

المحور الثالث: معاني العيد وفلسفته في الإسلام وواجب المسلم فيه

العيد في اللغة مشتق من العود؛ لتكرره كل عام، وقيل: لكثرة عوائد الله وفضائله على عباده فيه، ولعود البهجة والفرح والسرور بعوده وتكراره...

الفرح في أسمى معانيه:

إن العيد في الإسلام يعني الفرح في أسمى معانيه.. الفرح في الطاعة والقرب من الله والفوز برضاه.. الفرح لفرح الأمة إذا حققت ما تصبو إليه.. الفرح بكف بكاء اليتيم وكفالتة والمكالم وإدخال السرور عليه.. الفرح بإغناء الفقير والمسكين والمحتاج عن سؤال الناس.. الفرح بنهضة الأمة وتوحيدها لمواجهة ما يحاك لها من أعدائها.. الفرح بفضل الله، مصداقاً لقوله تعالى: **(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)** (يونس: ٥٨). هذا هو معنى الفرح في الإسلام، ومن ثم فلن تكتمل أفراحنا حتى تكف أصوات المدافع في فلسطين والسودان وفي اليمن وفي كل مكان من أرض الله، وحتى يكف بكاء أبنائنا وإخواننا وأجسادنا في فلسطين.. يقول النبي **(ﷺ) (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ، وَتَرَاحِمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى)** (٨).

العبادة والذكر والدعاء:

وتتجلى فلسفة العيد في العبادة وإحيائه بالصلاة والدعاء والتضرع، وتلاوة القرآن والتكبير والتهليل والتحميد وكثرة ذكر الله تعالى وشكره في الطرقات والمساجد والبيوت وخاصة أيام التشريق لما ورد في ذلك من فضل، ويعد ذلك إظهاراً لشعار العيد وقوة المسلمين وتربطهم. ولكي تتحقق هذه المعاني في هذا اليوم المبارك يجب علينا أن ننتهج نهج رسول الله **(ﷺ)**، حيث كان يخرج إلى المصلى مبكراً ومكبراً، يذهب من طريق ويعود من طريق آخر؛ ليشيع السلام في جنبات أرض الإسلام، وكان يصل في الخلاء حتى يتجمع المسلمون في مكان واحد. ويسن لجميع المسلمين أن يتوجهوا للمصلى، ويشهدوا صلاة العيد حتى يعم الترابط، وتسود المحبة والألفة بينهم..

الوحدة والمساواة:

وتبدو فلسفة العيد في الوحدة والمساواة: الوحدة التي تتجلى في:

- صلاة جميع المسلمين العيد في يوم واحد..
- وتتحقق في الحج، حيث:
- الوقوف على صعيد واحد،
- وفي وقت واحد،
- وفي لباس واحد،
- ويتضرعون إلى إله واحد..

الوحدة التي ترسخ أنه لا فرق بين غنيّ وفقير، ولا خفير ولا وزير، ولا قصير ولا طويل، ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالكل أمام الله سواءً.. ويهتف الحجاج بنداء واحد (ليك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).. يهتفون هتافاً صادقاً، نابغاً من أعماق القلوب والوجدان، لا نفاق فيه ولا رياء..

الوحدة التي يجب أن تكون نواة ومنطلقاً ومرتكزاً لوحدة: سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تجمع في بوتقتها جميع المسلمين في العالم؛ حيث الإله الواحد، والرسول الواحد، والدين الواحد، والكتاب الواحد، والتاريخ المشترك، والحضارة الواحدة التي أضاعت جنبات الدنيا كلها يوم أن تمسكنا بديننا..
الوحدة التي يجب أن تكون هدفاً وغاية سامية نبذل في سبيلها الغالي والثمين، لكي نحجز لأمتنا مكاناً لا نقا في وسط الأمم في خضم التكتلات والتحالفات الدولية..

الزينة والنظافة والتطيب:

ومن فلسفة العيد الزينة والنظافة والتطيب والتجمل لله: فالله جميل يحب الجمال، وقد حثنا الله (سبحانه وتعالى) أن نأخذ زينتنا عند كل مسجد، قال تعالى: **(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)** (الأعراف: ٣١).

وإذا كان الله قد أمرنا بالزينة والتجمل في كل وقت، لا سيما عند الذهاب للمساجد، فإنها تتعاطف في يوم العيد، بأن نلبس أحسن ما لدينا من الثياب يوم العيد، كما كان يفعل النبي (ﷺ).
مع الأخذ في عين الاعتبار أن الله (تعالى) يحب إذا أنعم على عبد نعمة أن يرى أثرها عليه؛ لأنها من مظاهر شكر النعمة، شريطة التواضع والبعد عن الكبر والخيلاء..

ولنا أن نتخيل أن الشخص منا إذا أراد الذهاب لمقابلة مسئول ما، فإنه يلبس أجمل وأفخم ثيابه، ويتطيب بأجمل الطيب؛ ليرضى هذا المسئول، فلا أقل من أن نتحار الخالقك، كما اخترت لعبده، بل يجب أن نتحار له الأجل والأفضل؛ حتى تحظى برضاه ورضوانه.. وإن تجمل المسلمون -الذين يمثلون خمس سكان العالم- لخالقهم وتطيبهم له في هذا اليوم، ليفصح عن كمال الحب والطاعة لله في أسمى معانيها، وإبداء نعم الله عليهم..

الإحسان في كل شيء:

ومن فلسفة العيد أيضا الرحمة والإحسان، وتتجلى في طريقة ذبح الأضحية ومعاملتها برفق ورحمة، كما علمنا رسولنا (ﷺ)، بأن نحد شفرتنا، ونريح ذبيحتنا، ولا نربها المذبة «أي السكين»، حيث قال (ﷺ) قَالَ: (...إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...) وقال: (...وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) (٩).

وإذا كنا مأمورين بالرحمة والإحسان إلى الأضحية، فمن باب الأولى أن نكون رحماء ببعضنا البعض وبأنفسنا؛ بل يجب علينا أن نكون رحماء ورفقاء بكل مفردات الكون، من: إنسان، وحيوان، ونبات، وحتى الجماد.. وأن نتمثل هذه الأخلاق في جميع أيامنا وأحوالنا، ونغرسها في نفوس أبنائنا وفي كل من حولنا حتى نخرج من العيد بدروس تتمثلها في كل أيامنا، بحيث تكون صلاحاً لنا في ديننا ودنيانا.

التكافل الاجتماعي والسخاء والمودة في القربى:

ومن فلسفة العيد ومعانيه التكافل الاجتماعي والسخاء والمودة في القربى والبشاشة والفرح في وجه من نلقاه من المسلمين: وذلك ببذل الصدقات والهدايا، والتوسعة على الأهل والأولاد والجيران، وصلة الرحم، وبث الوثام، والبدء بالصلح، ونبد الخلافات، وتنقية القلوب من الضغائن والأحقاد، والعفو عن المسيء، وإفشاء السلام على

مَنْ نَعْرِفَ وَمَنْ لَا نَعْرِفَ، وَإِطْعَامَ الطَّعَامِ، يَقُولُ النَّبِيُّ (ﷺ): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) (١٠).

ويجب علينا عيادة المريض، وزيارة الضعفاء وأصحاب العاهات، وذوي الاحتياجات الخاصة وتفقد حوائجهم، وتحصيل البركة بزيارتهم ودعائهم، وإدخال السرور عليهم.

وإدخال البهجة على الأطفال بوسائل الترفيه المباحة شرعاً، حتى يعم الفرح والسرور، ويجب علينا أن نقلع عن العادات السيئة، كالإسراف والتبذير والضوضاء التي تنبعث من الألعاب النارية.. وغيرها.

وهنا يجب ألا ننسى إخواننا في المكروبين في فلسطين والسودان وغيرها من أرض الله بالدعاء لهم ومد يد العون لهم بكل ما نستطيع.

المحور الرابع: ثنائية المحن والمنح في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

ابتلاءان كبيران:

ابتلى الله (سبحانه وتعالى) سيدنا إبراهيم (عليه السلام) ابتلاءات عظيمة، حيث ابتلاه في ولده إسماعيل ابتلاءين كبيرين

الابتلاء الأول:

فبينما هو شيخ كبير ظل يرقب ولده في ضمير الزمان مدة طويلة، حتى رزقه الله إسماعيل، فإذ به يؤمر بأن يودعه في مكان موحش هو وأمه، حيث لا أنيس ولا ونيس غير الله، بوادٍ غير ذي زرع.. لا ماء ولا غذاء في تلك البقعة الجرداء..!!

تقول زوجته المؤمنة التقية النقية المباركة السيدة هاجر (المصرية): آله أمرك بهذا؟
قال: نعم.

قالت: إذا لن يُضَيِّعنا الله..

ويمر الوقت، وينفذ الماء والزاد..

الصغير يبكي جوعاً وعطشاً.. وقلب الأم يبكي..

بكاء الرضيع يزيد.. ويقينها في ربهما يزيد.. فإذا بها تندفع وتجري بين الصفا والمروة.. تنظر يميناً ويساراً.. تنظر إلى الأمام وإلى الخلف، فلا تجد شيئاً إلا الثقة بالله.. وكلما اقتربت من رضيعها ازداد ألمها وتألّمها..

حرارة الشمس شديدة، والرضيع لا يفتقر عن البكاء..

تندفع بين الصفا والمروة مرة ثانية عساها تجد ما لم تجده في جولتها الأولى، وأخذت تتردد سعياً بينهما رجاء الفرج، وهي بعيدة عنه بجسدها دون قلبها.

لم تياس من روح الله.. بل ظلت تسعى واليقين في الله حليفها..

ولما بلغت شوطها السابع فإذا بلطف الله يأتيهما.. نظرت من بعيد؛ فإذا بها تجد عيناً تنفجر في وسط الرمال!! ويا لها من كرامة كبرى تحطت حدود الزمان والمكان والحال!!

فهرعت إليه لتروي ظمأه وظمأها الذي كاد أن يؤدي بهما..

إنها زمزم التي تعد شاهد عيان على مكافأة الله للممتثلين لأوامره، الصابرين على بلائه الراجين رحمته، المحسنين في خلواتهم، المخلصين في نواياهم، المتوكلين عليه في شدائدهم، العابدين له في سرهم ونجواهم؛ لذلك شرع السعي بين الصفا والمروة، وجعل شعيرة من شعائر الحج، وكذلك الشرب من ماء زمزم.

الابتلاء الثاني:

ولما بلغ إسماعيل أشده، إذ بابتلاء آخر ينتظره وينتظر أباه؛ رأي إبراهيم في منامه أن الله (تعالى) يأمره بذبح ولده إسماعيل.

ويصور القرآن العظيم ذلك المشهد الجلل، قال تعالى: **(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)** (الصفات: ١٠٢).

ويا لها من مفاجأة مدوية تقشعر لها الأبدان!!

ولكن هنا يتجلى الأدب الرفيع العالی..

• أدب إبراهيم مع ربه جل وعلا،

• وأدب إسماعيل مع أبيه عليهما السلام..

إبراهيم يريد أن ينفذ أمر الله بذبح ابنه الوحيد الذي جاءه بعد شوق طويل!!

وإسماعيل يضرب أروع الأمثال في الصبر على البلاء وطاعة الآباء، والتأدب مع والده..

ماذا حدث؟

فقال إسماعيل: يا أبت - ولم يقل يا أبي - زيادة في الأدب والتبجيل والتعظيم له.. لم يعترض.. لم يهرب.. لم يتلفظ ببنت شفه تغضب ربه أو أباه، بل سلم الأمر كله له..!!

ويا ليتنا نتعلم هذه المعاني من أخلاق الأنبياء، ومن كتاب الله الخالد الذي صور هذا المشهد البالغ الدقة، بقول الله تعالى: **(فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ)** (الصفات: ١٠٣-١٠٧).

وهكذا لما امتثل الولد والوالد لأمر الله^(١١)؛ كان الجزاء هذا الفداء المهيب الذي لم يأت من الأرض، بل نزل من السماء..

من أجل ذلك شرعت الأضحية في الإسلام، وجعل الله ثوابها عظيماً ونفعها عميماً... وفي هذه الأيام ونحن نتذكر هذه الذكريات.. نتذكرها وقلوبنا تمتلئ إعظاماً وإكباراً لسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وسيدنا محمد ورسول الله كافة عليهم السلام؛ لما بذلوه من جهد وعناء ومشقة وابتلاءات في سبيل الدعوة إلى الله..

ومن المقاصد التربوية التي نتعلمها هنا أن كلا من الابتلاءين تعلق بحياة ابنه الوحيد برمتها، فالأول وضعه وهو رضيع في مكان موحش لا ماء فيه ولا غذاء ولا أمن ولا أمان، والثاني ما يتعلق بالذبح بعدما شب عن الطوق واشتد ساعده..

وهكذا فإن الابتلاءات التي تتعلق بالحياة ابتلاءات عظيمة، ولكن الخليل يثق في رحمة الجليل.. ويوقن أن ما شاء الله سيكون، وما لم يشأ لن يكون.. وهكذا يجب أن نعود إلى ربنا ونتمثل له؛ حتى يشملنا الجليل برحمته التي شملت الخليل وابنه عليهما السلام.

ونتعلم من السادة الأنبياء الاستجابة المطلقة لأوامر الله تعالى، والثقة الكاملة بحكمه وحكمته، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)** (الأنفال: ٢٤).

(١١) وقد نُقل في بعض الروايات -لم تثبت صحتها- حوار مؤثّر دار بين الوالد سيدنا إبراهيم، والولد سيدنا إسماعيل (عليهما السلام)، يُظهر فيه إسماعيل قمة البرّ والطاعة والانقياد، حيث يُروى أنه قدّم لأبيه وصايا قبل تنفيذ أمر الله: أن يشحذ السكين جيداً، وألا يضعه على وجهه حتى لا تنظر عينه في عينه، وأن يرفع ثوبه لئلا يتلطخ بالدم، وألا يُخبر أمه بطريقة الذبح... وغيرها من الوصايا. وتُعد هذه من الإسرائيليات أو القصص التي لا يُعرف لها سند صحيح، وقد أورد بعض المفسرين -كابن كثير في (البداية والنهاية)- إشاراتٍ إليها، مع التنبيه إلى ضعف أسانيدها، وعدم ورودها في المصادر الإسلامية الموثوقة، مما يجعلها غير معتمدة في مقام الاستدلال أو التعليم.

وهكذا جسّد سيدنا إبراهيم (عليه السلام) هذه الاستجابة أتمّ تجسيد، حين بادر إلى تنفيذ ما رآه في منامه من ذبح ابنه، إذ رؤيا الأنبياء حق وهي وحي من الله وخصيصة للأنبياء والمرسلين فقط، ولم يتردّد ولم يتوقف ليسأل أو يؤخّر، بل انطلق ممتثلاً، مؤمناً، مُسليماً، عاقداً العزم على التنفيذ.

ولذلك حاور ولده وأشركه في الطاعة، فقال له: (يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى...) فكانت استجابة إسماعيل (عليه السلام) مثلها كمثل والده، قمة في البر والإيمان والتسليم.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله وبحمده بكرةً وأصيلاً

وأشهد أن سيدنا محمداً (ﷺ) رسول الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعالى):

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) أما بعد..

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ.

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ.

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ.

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

- اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نُورًا مِنْكَ يَغْشَانَا، وَعِنَايَةً مِنْكَ تَرَعَانَا، وَعَفْوًا مِنْكَ يَشْمَلُنَا، وَرِضًا مِنْكَ يُبِيرُ لَنَا دُرُوبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا لِسَانَ صِدْقٍ يُسْمَعُ، وَعَمَلًا حَقٍّ يُرْفَعُ، وَأَجْرًا مُضَاعَفًا لَا يَنْقَطِعُ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.
- اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

المحور الخامس: شعيرة الأضحية، اسعدوا بها، وأسعدوا بها خلق الله، يا عباد الله

الأضحية لفظة حُبلى بالمعاني السامقة تشع نورا وسرورا، ولها وقع جليل على القلوب والنفوس.. إنها رمز للفداء، وصبر على البلاء، واقتداء بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام.. ترمز إلى الامتثال والطاعة.. والرضا والتسليم.. واحترام أقدار الله في الخلق والكون والحياة..

وتعني صدق الصبر وصبر الصدق مع اللطيف الجليل... وتعني الفرج والفرح.. الإيثار، والبعد عن الأنانية، والتكافل والرحمة والتوسعة على أصحاب العوز والفاقة.. إنها حقا السعادة والإسعاد بفضل الله..

الأضحية نوع هدية وقربان يتودد بها المضحى إلى الرحمن.. فانظر أيها المضحى قدر المهدي إليه، وقدم له الأطيب الأنضر، ولا يغيب عن ذهنك قوله تعالى: (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ خُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (الحج: ٣٧).

أيها المسلم: كم يلحقك من الخجل لو قدمت لرئيسك أو صديقك أو زميلك أو صهرك شيئا معيباً؟! فما بالك بما تقدمه لله؟!!

فلا أقل من أن تختار لربك، كما اخترت لصاحبك وصهرك. فاتق الله فيها، حتى لا تكون وسيلة طرد ومقت، بدلاً من أن تكون وسيلة حب وتقرب إلى الجليل جلا وعلا..!!

وهكذا يجب أن نتحرى الدقة في أضحينا، ونختار أفضلها وأجودها؛ فالذكر فيها أفضل من الأنتى، وأفضلها البيضاء، ثم الصفراء، ثم العفراء، ثم الحمراء، ثم السوداء. مع الأخذ في الاعتبار أنه لا تجزئ عوراءً بين عورؤها، ولا عرجاءً بين عرجها، ولا مريضةً لا شحم لها، ولا مقطوعة الأذن أو مكسورة القرن. ومن العجب أن تجد من يضحى بمقطوعة الأذن أو العمياء أو العرجاء أو العوراء، فهؤلاء لم تنعقد لهم أضحية.. كذلك الذين اشتروا لحمًا من الجزار، أو ذبحوا دجاجة أو أوزة.. أو غيرها مما لم يرد نص بإجزائه، أو الذين ذبحوا قبل وقت الوجوب، وهكذا يجب أن نلتزم شروط القران..

آداب الأضحية:

وعن آدابها فيسن لمن أراد أن يضحى ألا يقلّم أظافره ولا يقصّ شيئاً من شعره حتى يضحى. عن أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) قال: (إِذَا رَأَيْتُمْ هَلَالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضْحِيَ، فَلْيُمْسِكْ عَنِ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ) (١٢).

ويُسن أن تذبح الأضحية بنفسك - إن كنت تحسن الذبح - وأنت تستقبل القبلة، ناويًا بها القرب إلى الله، وتحد شفرتك، وترح ذبيحتك.. والغنم تضجع على شقها الأيسر بيسر، ولا تُربها المذبة "أي السكين". وإذا كان مقام الإحسان من الغايات الكبرى التي يسعى المسلم لتحقيقها، فإن الله أراد أن يربينا ويدربنا ويمرسنا ويمرنا من خلال الأضحية على أن يكون الإحسان منهج حياة..

فَعَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (... إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...) وقال: (... وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرْخِ ذَبِيحَتَهُ) (١٣).

ويستحب أن تقول: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك وإليك فتقبله مني وأهلي، كما تقبلته من إبراهيم عليه السلام ومحمد (ﷺ). ويستحب - وليس واجبا - أن تقسم ثلاثاً: ثلث لبيتك، وثلث للصدقة، وثلث للهدايا.. ولا يجوز أن تكون أجرة ذبح الأضحية جزءاً منها..

دروس من تضحية النبي (ﷺ) عن الفقراء:

أراد النبي (ﷺ) أن يجبر خاطر الفقراء والمساكين من أمته ممن لا يستطيع أن يضحى، فضحى عنهم إكراماً لهم كما ضحى عن أهل بيته.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: (ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِكَبْشَيْنِ أَقْرَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَحَدِهِمَا عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْآخَرَ عَنْهُ وَعَنْ مَنْ لَمْ يَضَحْ مِنْ أُمَّتِهِ) (١٤).

وفي صنيع النبي (ﷺ)، دروس ومقاصد تربوية من بينها: تعليم أمته من بعده معاني التضحية، وجبر الخاطر، والإيثار، وإشاعة معاني المساواة، وأن تتسع معالم الرحمة والتكافل في المجتمع لتشمل شتى الجوانب المادية والمعنوية؛ لينعم مجتمع الإيمان بمنظومة القيم البانية التي من شأنها تحقيق المجتمع الصالح.

من مظاهر تكريم الله للأضحية:

ومن مظاهر تكريم الله (سبحانه وتعالى) لشعيرة الأضحية ما يلي:

- أنها ارتبطت ب: نبيين كبيرين هما: (أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم)، و(أبو العرب سيدنا إسماعيل) عليهما السلام..

- أن الله (تعالى) رتب على فعلها أجراً عظيماً وحث النبي (ﷺ) على فعلها ورغب فيها.
- أن الله (عز وجل) اختار لها أربعة أيام من أفضل أيام العام (عيد الأضحى وأيام التشريق الثلاثة).
- أنها تأتي عقب عبادة وبعد أيام عظم الله فيها أجر العبادة وهي العشر الأوائل من ذي الحجة.

(١٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(١٣) أخرجه مسلم في صحيحه.

(١٤) أخرجه ابن ماجه (٣١٢٢)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (١٨٩١) واللفظ له، والدارقطني، أخرجه الهيثمي في معجم الزوائد بإسناد حسن.

إذا كانت التربية عبر العصور تستهدف بناء الإنسان الصالح النافع لنفسه ولوطنه وللإنسانية؛ فإن الأضحية بكل معانيها ومقاصدها الإيمانية والتربوية تسهم في تربية الإنسان الصالح والمجتمع المتصالح المتكافل المترابط المتعاون...

الأضحية.. دروس تربوية ملهمة في الرحمة والعطاء والتزكية

والأضحية وهي شعيرة مهمة جداً من شعائر الدين الحنيف، فهي أيضاً مدرسة تربوية عظيمة، تغرس في النفوس معاني الرحمة، وتعلم القلوب فقه العطاء، وتركي الأرواح بقيم التضحية والإحسان.

• **الرحمة والإحسان بالحيوان الأعمى**، ممثلاً في الذبيحة، وتتجلى في طريقة ذبح الأضحية ومعاملتها برفق ورحمة، كما علمنا رسولنا (ﷺ)، بأن نحد شفرتنا، ونريح ذبيحتنا، ولا نريها المذبة "أي السكين"، حيث قال: (... وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرْخِ ذَبِيحَتَهُ) (١٥).

• **الرحمة والإحسان إلى كل إنسان**: وإذا كنا مأمورين بالرحمة والإحسان إلى الأضحية، فمن باب الأولي أن نكون رحماً ببعضنا البعض وبأنفسنا وبكل الناس.

• **الرحمة والإحسان بالضعفاء**: فيجب علينا أن نلحظ على الضعفاء وأصحاب العاهات، وذوي الاحتياجات الخاصة وتلبية حوائجهم، وتحصيل البركة بدعائهم، وإدخال السرور عليهم فعن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى) (١٦).

• **الرحمة والإحسان إلى الأطفال**: بإدخال البهجة على الأطفال وإطعامهم وتدريبهم على العطاء والرحمة.

• **الرحمة والإحسان إلى الطبيعة**، فيجب علينا أن نكون رحماً ورفقاً بشقي مفردات الطبيعة والكون (إنسان - حيوان - نبات - حتى الجماد)، ومن ثم يجب أن نأخذ كل الاحتياطات والاحترازمات الصحية التي تعلنها الجهات المعنية عن معايير وطرق وآليات وإجراءات ذبح الأضحية، وتطبيقها بمنتهى الدقة والأمانة، حفاظاً على المواطنين، وحتى لا تكون وسيلة لنقل العدوى بدلاً من أن تكون وسيلة للسعادة والإسعاد.

• **استثمار شعيرة الأضحية لتعليم أولادنا ثقافة التضحية والعطاء والبذل والحنو على الفقراء والضعفاء** ومن ثم غرس ثقافة الحب في قلوبهم وفي قلب المجتمع.

وفي هذا الوقت الحرج من تاريخ العالم أذعو الأثرياء إلى التوسع في أضحيتهم، وبذل معظمها للفقراء والجائعين وغيرهم من الضعفاء والمساكين.. ونشر ثقافة التكافل الاجتماعي والسخاء وبذل الصدقات والهدايا، وإطعام الطعام.

يقول النبي (ﷺ): (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) (١٧).

ولنعلم أن العطاء والسخاء وقت شدة الفقر والجوع والعوز والحاجة أكثر ثواباً وأرجى قبولاً، ورافعاً لدرجات العبد يوم القيامة.. فطيبوا بها نفساً وأخلصوها لله رب العالمين. وكل عام وحضراتكم بألف خير.

فهنيئاً لمن ضحى، وهنيئاً لمن ذبح، وهنيئاً لمن وزع، وهنيئاً لمن أنفق، هنيئاً له في الأرض وفي السماء..
حُكِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، قُومِي إِلَى أَضْحِيَّتِكَ فَاشْهَدِيهَا؛ فَإِنَّهُ يَغْفِرُ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقَطَّرُ مِنْ دِمَائِهَا كُلِّ ذَنْبٍ عَمَلْتِيهِ، وَقَوْلِي: إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي؛ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ،

(١٥) أخرجه مسلم في صحيحه.

(١٦) أخرجه مسلم في صحيحه.

(١٧) أخرجه ابن ماجه

وبذلك أُمِرْتُ، وأنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حَصِينٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ خَاصَّةً، فَأَهْلُ ذَاكَ أَنْتُمْ، أَمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً؟ قَالَ: لَا، بَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً^(١٨).
اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

المحور السادس: بر الوالدين وصلة الرحم

أيها الأخ الحبيب: عليك ببر الوالدين، وصلة الرحم الخاصة والعامة، والإحسان إلى كل خلق الله، كل مخلوقات الله، فالله يحب المحسنين، ويجب من خلقه الرحماء.

عن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يقول: قال الحقُّ تبارك وتعالى في الحديث القدسي الجليل: (أنا الرَّحْمَنُ)، ولا ريب في أنَّ عظمة الحديث وجلاله وجماله وكماله يتأتى من عظمة المُتحدِّث ومكانته، والمُتحدِّث هنا هو اللهُ العظيم الأعظم؛ إنه إذا مقامُ الجلال والكمال، (أنا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحْمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسمي، فَمَنْ وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته) فالرحمُ إذا مرعية برعاية الله، وعنايته، ومعيته^(١٩).
وصلة الرحم من أول ما أرشد إليه النبي العظيم (ﷺ) عندما وصل المدينة بعد الهجرة الشريفة

قال: (يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعموا الطَّعامَ، وصلُّوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليلِ، والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَّلامٍ)^(٢٠). فصلةُ الرَّحْمِ من العباداتِ التَّعاملية، وهي واجبة، وقطعُها حرام، وهي من الكبائر، ويترتب على قطع الرحم كثيرٌ من المشكلات التي تضرُّ بالأفراد والعائلات والمجتمعات.

صلة الرحم من الواجبات العشرة على كل مسلم:

واعلم أنَّ الإسلامَ عدَّةُ صِلَةِ الأرحامِ من الواجباتِ العشرة التي أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى بها المسلمينَ في الآية (٣٦) من سورة النساء، على النحو التالي:

- الواجبُ الأوَّلُ: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)
- الواجبُ الثَّاني: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)
- الواجبُ الثَّالثُ: (وَبِذِي الْقُرْبَى)
- الواجبُ الرَّابِعُ: (وَالْيَتَامَى)
- الواجبُ الخامسُ: (وَالْمَساكِينِ)
- الواجبُ السَّادسُ: (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى)
- الواجبُ السَّابعُ: (وَالْجَارِ الْجُنُبِ)
- الواجبُ الثَّامنُ: (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ)
- الواجبُ الثَّاسِعُ: (وَأَبْنِ السَّبِيلِ)
- الواجبُ العاشِرُ: (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا).

وصلةُ الرَّحْمِ تعد سببًا للفوز بالجنة..

ومَّا يَوْسُفُ لَهُ فِي هَذَا الزَّمان أَنَّا نرى شَخْصًا يَقاطعُ أَخاهُ وَأَخْتَه، وَعَمَّهُ وَعَمَّتَه وَخَالَه وَخَالَتَه، وَيَبْخُلُ عَلَيْهِم بِالزَّيارَةِ، أَوْ حتَّى بالسَّؤالِ عَنْهُمْ بِمُكالمَةٍ هاتِفِيَّةٍ!

(١٨) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين.

(١٩) أخرجه الحاكم - المستدرک على الصحيحين - صحيح.

(٢٠) أخرجه ابن حبان - صحيح.

بل إنَّ الأدهى والأخطر أن نرى الأخ بدلاً من أن يعطفَ على إخوته، ويخنو عليهم ويُساعدهم ويُساندهم؛ يأكلُ نصيبهم في الميراث، والعيادُ بالله!

أربع وصايا ناجعة لإحياء صلة الرَّحِم: بالصبر والإصلاح واللين

الأولى: أن علاقات الرَّحِم تحتاج إلى مزيدٍ من الصبر والمجاهدة، إذ لا تستقيم إلا بالتغافل، والتغاضي عن هفواتهم، ومقابلة الإساءة بالإحسان.

الثانية: ضرورة إصلاح ذات اللين بشكل مُستدام، وتحمل الصعاب في سبيل ذلك.

الثالثة: كن دائماً هيناً ليناً؛ تأسياً بنبك العظيم.

الرابعة: الانكسار لله طريق النجاح والفلاح والنجاة.

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

المحور السابع: حقوق الضعفاء والفقراء

يشدد الإسلام على ضرورة توفير بيئة مليئة بالحب والاحترام والاحتواء للشخص الضعيف أو الفقير أو العاجز... إلخ، ودعمه نفسياً وعاطفياً، كما يضع إطاراً شاملاً يضمن حقوقه في مختلف جوانب الحياة، مع توجيه المجتمع والأسرة إلى دعمه ومساعدته في تحقيق حياة كريمة تحفظ له إنسانيته وتساعد على تحقيق طموحاته...

ويؤسس النبي العظيم معالم الرحمة ويؤكد على مكانة الضعيف في عنصرين من أهم عناصر الحياة، وهما (الرزق - والنصر)، فيقول: (ابغوني ضعفاءكم؛ فإنكم إنما ترزقون وتُنصرون بضعفائكم) (٢١).

ويا لها من رسالة عظيمة لا يفقهها إلا من يتعمق في مبانيها ومعانيها ومراميتها، إنه حقاً رحمة الله للعالمين، فيبرز فضل الضعفاء، ويحذر من التكبر على الفقراء والضعفاء، ويحث على جبر خواطرهم، وحبهم واحترامهم، وطلب الدعاء منهم.

تأملوا قول النبي (ﷺ) "ابغوني"، أي: اطلبوا لي "الضعفاء"، أي: الفقراء، ومن لا يبالي الناس بهم؛ لريثاءة حالهم وهيئتهم.

يا عباد الله، إن ديننا العظيم ما نظر إلى الضعيف أبداً على أنه عبء يُلقى، أو عالة تُحمل - كما كان يحدث في بعض الحضارات القديمة من قتل الضعفاء - بل إن الإسلام جعل الضعيف مباركا وسبباً في الرزق والنصر والبركة.

وقد رأى سعدُ (رضي الله عنه) أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي (ﷺ): (هل تُنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!) (٢٢).

وكان (ﷺ) يجلس مع الفقراء والضعفاء والمساكين، ويأكل معهم، ويكرمهم.

الإسلام لا يمجّد الفقر، لكنه يحث على الصبر إن وقع:

أيها الأحاب: الإسلام لا يُمجّد الفقر، وكان (ﷺ) يستعيد من الكفر والفقر، فقال:

(اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر) (٢٣).

لكنه يحث على الصبر إن وقع، ويشجع على الكسب، ويوجب على الأغنياء مد يد العون للفقراء.

واجبنا نحو الضعفاء والفقراء:

حقوق الفقير والضعيف على الغني في الإسلام ليست مجرد تفضل أو إحسان، بل هي واجب شرعي وحق أصيل أوجبه الله تعالى ورسوله (ﷺ)، تُبنى عليه عدالة المجتمع ورحمة الأمة، وتُسأل عنه يوم القيامة.

(٢١) أخرجه شعيب الأرنؤوط (تخريج المسند لشعيب) إسناده صحيح.

(٢٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٢٣) أخرجه النسائي والطبراني وابن حبان - صحيح

إليك أبرز هذه الحقوق:

١. الزكاة الواجبة
٢. الصدقة التطوعية
٣. الإطعام والكساء
٤. التعليم والتأهيل
٥. العلاج والرعاية الصحية
٦. النصرة والعدل
٧. التواضع وعدم التكبر
٨. الإقراض الحسن
٩. ستر الحال وعدم الفضح
١٠. إشراكه في فرص العمل والإنتاج

وهنا نسأل أنفسنا ونسأل غيرنا من الذين من الله عليهم بالخيرات، عما فعلوه مع الضعيق والفقير؟

• هل **أطعمناه** إذا كان جائعاً؟

• وهل **كسونا** إذا كان عارياً؟

• وهل **علمناه** إذا كان جاهلاً؟

• وهل **عالجناه** إذا كان عليلاً؟

• وهل **واسيناه** إذا كان مكلوماً؟

• وهل **أويناه** إذا كان مشرداً؟

• وهل **أمنناه** إذا كان خائفاً؟

• وهل **أنصفتناه** إذا كان مظلوماً؟

• وهل **شجعناه** إذا كان محبطاً؟

• وهل **رفعنا عنه** إذا كان مثقلاً؟

• وهل **هديناه** إذا كان حائرًا؟

• وهل **دعوناه** إلى الله إذا كان غافلاً؟

فإن كنا قد فعلنا، فقد أدينا الأمانة، وإن قصرنا، فالعودة إلى الله مفتوحة، وليس العيب أن نخطئ، لكن

العيب أن نستمر في الغفلة والتقصير

وتذكروا دوما قول النبي (ﷺ): (يَدُ الْعَلِيَا خَيْرٌ مِنَ يَدِ السُّفْلَى، وَإِبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَى،

وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفُهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ) (٢٤).

اللهم ارزقنا قلوباً رحيمة، وأيدي ممتدة بالخير، وألسنة ذاكرة، وأرواحاً حانية على الضعفاء. اللهم اجعلنا ممن يُنصر بهم، ويُرزق بسببهم، وامنحنا شرف خدمة عبادك يا أرحم الراحمين.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.... واصرف عنا سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت.... اللهم فقهننا في ديننا وبصّرنا بعيوبنا..... وارزقنا الثبات واليقين.... اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا....
.. اللهم أصلحنا وأصلح لنا أزواجنا... وأصلح أبناءنا وبناتنا.. اللهم اهدنا سُبُل السلام وأخرجنا من الظلمات إلى النور... وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن يارب العالمين.. اللهم أصلح بيوتنا، وبارك في أزواجنا، وارزق شبابنا الزواج الحلال، واحفظ بناتنا من التأخر والعنوسة، واهد كل زوجين إلى التراحم والمودة والسكن.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهر قلوبنا من الكبر، وزينها بالتواضع، اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..
وكل عام وحضراتكم بألف ألف خير

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتّاب مصر

واتس أب: ٠١١٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman@gmail.com

يرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(الدكتور أحمد علي سليمان)؛ [متابعة كل جديد](https://www.facebook.com/drahmedalisoliman) <https://www.facebook.com/drahmedalisoliman>